نحن نُعلّم أبناءنا لوظائف تختفي

لماذا يجب إعادة بناء المدرسة والجامعة من الصفر في عصر الذكاء الاصطناعي؟

تخيل طالبًا يبدأ هذا العام دراسة البرمجة في الجامعة.

سيدفع الرسوم، ويحضر المحاضرات، ويتعلم `Python` و `JavaScript` وهياكل البيانات، وينفذ المشاريع، ويقضي أربع سنوات كاملة كي يتخرج ويحصل على شهادة تقول إنه أصبح مبرمجًا.

لكنني أعتقد أنه قبل أن يتخرج، لن تعود البرمجة بالشكل الذي يتعلمه اليوم مهنة يحتاج إليها السوق.

لن تكون المشكلة أن لغة برمجة جديدة ستحل مكان لغة قديمة.

المشكلة أن الإنسان نفسه لن يكون الطرف الذي يكتب معظم الكود.

سيصف ما يريد بصوته.
سيناقش النظام.
سيغير رأيه.
سيطلب نسخة أخرى.
وسيتولى وكلاء الذكاء الاصطناعي التصميم والبرمجة والاختبار والتعديل والنشر.

قد يبقى الكود موجودًا داخل الأنظمة، كما بقيت لغة الآلة موجودة داخل الحاسوب، لكن معظم البشر لن يحتاجوا إلى كتابته أو تعلم تفاصيله.

وبالنسبة لي، هذه ليست فرضية بعيدة تحتاج إلى عشرين عامًا.

أنا أعتقد أن البرمجة، بوصفها مهنة واسعة يتعلم فيها الإنسان اللغات كي يكتب الأوامر سطرًا بعد سطر، ستفقد معناها خلال عامين تقريبًا.

قد تبقى فئة صغيرة تعمل على البنية العميقة، أو الأبحاث، أو الأنظمة شديدة الحساسية. لكن فكرة أن ملايين الطلاب يجب أن يدرسوا لغات البرمجة اليوم استعدادًا لسوق العمل بعد أربع سنوات تبدو لي شبيهة بتعليمهم تشغيل المقاسم الهاتفية اليدوية في بداية عصر الهواتف الذكية.

وإذا كانت هذه هي حال البرمجة، وهي واحدة من أكثر المهن التي اعتقدنا أنها تمثل المستقبل، فماذا عن بقية التخصصات؟

ماذا عن المحاسبة؟
والتسويق؟
والتصميم؟
والترجمة؟
والإعلام؟
والتحليل؟
والإدارة؟
وخدمة العملاء؟
والأعمال القانونية الأولية؟
وكل وظيفة يقضي صاحبها معظم يومه أمام شاشة، يقرأ المعلومات، يعالجها، ثم ينتج معلومات أخرى؟

نحن لا نتحدث عن تطوير بسيط في أدوات العمل.

نحن نتحدث عن اختفاء الأساس الذي بُني عليه التعليم الحديث:

ادرس تخصصًا ثابتًا لعدة سنوات، ثم مارس المهنة نفسها لعدة عقود.

هذا العالم ينتهي أمامنا، بينما ما زالت المدارس والجامعات تتصرف كأن شيئًا لم يحدث.

نحن نناقش الغش بينما ينهار الامتحان نفسه

معظم النقاش التعليمي حول الذكاء الاصطناعي يدور حتى الآن حول سؤال يكاد يصبح مثيرًا للسخرية:

كيف نمنع الطلاب من الغش؟

الطالب يستطيع أن يكتب بحثًا كاملًا خلال دقائق، فتبدأ الجامعة في البحث عن برامج تكتشف إن كان النص مكتوبًا بالذكاء الاصطناعي.

لكن ماذا لو لم تكن المشكلة في الأداة؟

ماذا لو كان البحث نفسه، بالطريقة التي نطلبه بها، لم يعد يصلح لقياس أي شيء مهم؟

إذا طلبنا من الطالب كتابة ثلاثة آلاف كلمة عن موضوع معروف، وكان نظام ذكي يستطيع كتابة النص وتحسينه وتوثيقه خلال دقائق، فما القيمة التي كنا نقيسها أصلًا؟

هل كنا نقيس التفكير؟
أم القدرة على تجميع النصوص وإعادة صياغتها؟

إذا كان الذكاء الاصطناعي يستطيع:

- كتابة المقال.
- حل المسألة.
- تصميم العرض.
- تحليل البيانات.
- بناء التطبيق.
- تلخيص الكتاب.
- إعداد الخطة.
- إنتاج الفيديو والصوت والصورة.

فإن منع الطالب من استخدامه لا يحمي التعليم.

إنه يحمي امتحانًا فقد معناه.

الاختبار الحقيقي لم يعد:

هل تستطيع إنتاج الإجابة؟

بل:

هل تعرف ما السؤال الذي يجب طرحه؟
هل تفهم ما أنتجه النظام؟
هل تستطيع اكتشاف الخطأ؟
هل تميز بين إجابة تبدو مقنعة وإجابة صحيحة؟

هل تعرف متى تثق بالنظام ومتى توقفه؟
هل تستطيع تحويل قدراته إلى نتيجة حقيقية لها قيمة؟

الذكاء الاصطناعي لم يخلق أزمة الغش.

لقد كشف أن جزءًا كبيرًا من التعليم كان يقوم على قياس مخرجات أصبحت الآن شبه مجانية.

خلال أيام أستطيع إنجاز عمل فريق كامل

أنا لا أبني هذه الرؤية على مقالات تتنبأ بالمستقبل فقط.

أنا أراها في عملي.

أستطيع اليوم، باستخدام نماذج ووكلاء مثل `Codex` و`Claude`، أن أبني خلال أيام ما كان يحتاج سابقًا إلى فريق من المصممين والمبرمجين ومديري المشاريع والباحثين وصنّاع المحتوى.

أستطيع أن أبدأ بفكرة غير واضحة، ثم أناقشها بالصوت، وأطلب من النظام أن يحولها إلى بنية، ثم واجهة، ثم قاعدة بيانات، ثم تطبيق يعمل.

لا أحتاج إلى أن أكتب كل سطر.

لا أحتاج إلى معرفة كل تقنية قبل أن أبدأ.

لا أحتاج إلى تعيين عشرين شخصًا كي أنجز عمل عشرين شخصًا.

وما أستطيع فعله اليوم لا يمثل نهاية التطور. هذه ما زالت بدايته.

فإذا كان شخص واحد يستطيع الآن أن ينتج عمل فريق خلال أيام، فماذا سيحدث عندما يصبح هذا أسهل بعشر مرات؟

ماذا سيحدث عندما يصبح المدير قادرًا على الحديث مع نظامه بصوت طبيعي كما يتحدث مع موظف؟

وماذا سيحدث عندما لا يدير وكيلًا واحدًا، بل عشرات الوكلاء الذين يعملون في الوقت نفسه؟

هنا لا تعود المسألة أن الذكاء الاصطناعي "يساعد الموظف".

المعادلة تصبح:

شخص واحد يمتلك عقلية جيدة، ومعه شبكة من الوكلاء، في مقابل قسم كامل من الموظفين.

فإذا كانت شركة تضم عشرين موظفًا يستطيع نظام واحد أن يغطي 90% من عملهم، لماذا ستبقيهم جميعًا؟

قد تحتفظ باثنين أو ثلاثة:

- شخص يحدد الأهداف.
- شخص يراجع الجودة.
- شخص يتحمل المسؤولية ويتعامل مع البشر.

أما بقية الوظائف، فلن تختفي لأنها أصبحت غير مفيدة تمامًا، بل لأنها أصبحت مكلفة بصورة لا يمكن تبريرها.

المشكلة ليست أن بعض المهن ستتغير

اللغة المطمئنة التي نسمعها دائمًا تقول:

الذكاء الاصطناعي لن يستبدل البشر، بل سيستبدل البشر الذين لا يستخدمونه.

هذه العبارة قد تكون مريحة، لكنها لا تصف ما يحدث.

إذا كان موظف واحد يستخدم الذكاء الاصطناعي يستطيع إنتاج عمل عشرة موظفين، فإن النتيجة ليست أن الموظفين العشرة سيستخدمون الذكاء الاصطناعي ويصبحون أكثر إنتاجية.

النتيجة المنطقية أن الشركة ستحتاج إلى موظف واحد أو اثنين بدل عشرة.

وقد لا يحدث ذلك فورًا في كل مؤسسة.

قد تتأخر بعض الشركات بسبب الإدارة، أو القوانين، أو الخوف، أو ضعف المعرفة.

لكن المنافسة ستجبرها.

إذا ظهرت شركة جديدة تستطيع تقديم المنتج نفسه:

- أسرع بعشرين مرة.
- أرخص بعشر مرات.
- بتخصيص أكبر.
- وبفريق أصغر بكثير.

فإن الشركة التقليدية ستواجه خيارين:

إما أن تتبنى النموذج نفسه وتخفض عدد موظفيها، أو تخسر السوق.

المنافسة ستنجز ما قد تتردد الإدارات في فعله.

ماذا يعني ذلك لطالب يدخل الجامعة اليوم؟

طالب يدخل الجامعة في عام 2026 سيتخرج غالبًا بين عامي 2029 و2031.

اسأل نفسك بصدق:

هل نستطيع توقع شكل العمل بعد خمسة أعوام؟

نحن لا نستطيع توقع قدرات النماذج بعد ستة أشهر، ومع ذلك نطلب من طالب في الثامنة عشرة أن يختار تخصصًا سيعرّف حياته الاقتصادية بعد أربع سنوات.

هذه ليست خطة تعليمية.

هذه مقامرة بأربع سنوات من عمر إنسان.

خذ مثال البرمجة مرة أخرى.

طالب يبدأ اليوم تعلم كتابة الكود يدويًا، بينما النماذج الحالية بدأت بالفعل تنفذ مشاريع كاملة من خلال الحوار.

عندما يتخرج، قد لا يسأله صاحب العمل:

ما لغات البرمجة التي تعرفها؟

قد يسأله:

ما الأنظمة التي تستطيع بناءها؟
ما المشكلات التي تستطيع تعريفها؟
كيف تدير الوكلاء؟
كيف تتحقق من الجودة؟
كيف تربط المنتج بحاجة حقيقية؟
وكيف تتصرف عندما تكون النتيجة خاطئة؟

وفي كثير من الحالات، قد لا يحتاج صاحب العمل إلى توظيفه أصلًا.

ليس لأن الطالب فشل.

بل لأن ثلاثة أشخاص باتوا قادرين على تشغيل شركة كانت تحتاج إلى ثلاثين.

الجامعة ستنهار عندما يفقد الطالب ثقته في الوظيفة

الجامعة لا تبيع المعرفة فقط.

هي تبيع وعدًا.

يقول الوعد:

ادفع المال.
اقض أربع سنوات.
احصل على الشهادة.
وسترتفع فرصك في الحصول على وظيفة مستقرة ودخل أفضل.

طالما بقي هذا الوعد مقنعًا، سيستمر الطلاب في التسجيل حتى لو كانت المحاضرات ضعيفة والمناهج قديمة.

لكن ماذا يحدث عندما يفقد الطالب ثقته بالنتيجة؟

ماذا يحدث عندما يرى خريجين يجلسون في المنزل، بينما شخص لم يدخل الجامعة بنى مشروعًا خلال أشهر باستخدام الذكاء الاصطناعي؟

ماذا يحدث عندما يدرك أن التخصص الذي سيدفع له المال قد يفقد قيمته قبل أن يحصل على الشهادة؟

ماذا يحدث عندما تبدأ الشركات بتفضيل سجل الإنجاز على اسم التخصص؟

لن يحتاج الأمر إلى أن يرفض جميع الطلاب الجامعة.

الجامعات، خصوصًا المتوسطة والمعتمدة على الرسوم، هشة أكثر مما تبدو.

لنفترض أن جامعة تستقبل خمسة آلاف طالب جديد كل عام.

إذا انخفض التسجيل 10% فقط، فهذا يعني خمسمئة طالب أقل.

إذا كانت الرسوم السنوية لكل طالب ثلاثة آلاف دينار مثلًا، فإن الجامعة تخسر مليونًا ونصف المليون دينار من دفعة واحدة، ثم تستمر الخسارة مع السنوات التالية.

إذا أصبح الانخفاض 20%، تبدأ الأزمة بسرعة:

انخفاض التسجيل
↓
عجز مالي
↓
تقليل البرامج والأساتذة
↓
تراجع جودة التجربة
↓
انخفاض السمعة
↓
مزيد من الانخفاض في التسجيل

لهذا لا تحتاج الجامعة إلى أن تفقد كل طلابها حتى تنهار.

قد يكفي أن يفقد واحد من كل خمسة طلاب ثقته في قيمة الشهادة.

ليست كل الجامعات متساوية

بعض الجامعات ستبقى مدة أطول.

الجامعات التي تملك:

- مختبرات متقدمة.
- مستشفيات وتدريبًا سريريًا.
- شبكات علاقات قوية.
- مكانة اجتماعية.
- خبراء وباحثين حقيقيين.
- وصولًا إلى فرص لا يستطيع الطالب الحصول عليها وحده.

ستستمر لأنها لا تبيع المحاضرة فقط.

لكن الجامعة التي تبيع:

- صفًا تقليديًا.
- محاضرة مسجلة.
- امتحان حفظ.
- شهادة عامة.
- وتخصصًا لا يرتبط بنتيجة حقيقية.

ستجد نفسها في مواجهة منافس لا يشبه جامعة أصلًا.

قد يكون نظامًا تعليميًا مدته ستة أشهر، يمنح الطالب:

- معلّمًا شخصيًا.
- مشاريع حقيقية.
- خبراء عند الحاجة.
- مجتمعًا صغيرًا.
- تدريبًا عمليًا.
- سجلًا قابلًا للتحقق مما أنجزه.
- وتكلفة أقل بكثير.

أي المسارين سيختار الطالب؟

أربع سنوات يتعلم فيها ما قد لا يحتاجه؟

أم أشهر يبني خلالها قدرة واضحة وشيئًا يمكن عرضه أو بيعه؟

التخصص نفسه سيفقد معناه

نحن نقسم المعرفة إلى تخصصات لأن المؤسسة تحتاج إلى تنظيم الطلاب والأساتذة والمواد.

لكن المشكلات الحقيقية لا تحترم حدود الكليات.

إذا أردت بناء نظام يساعد المزارعين الفلسطينيين على تحسين إنتاجهم، فأنت تحتاج إلى:

- الزراعة.
- البيانات.
- الاقتصاد.
- التصميم.
- البرمجة.
- علم النفس.
- التسويق.
- التشريعات.
- وفهم المجتمع المحلي.

في الجامعة الحالية، هذه المجالات موزعة بين كليات وأقسام لا تتحدث مع بعضها أحيانًا.

أما في عصر الذكاء الاصطناعي، فيمكن أن تبدأ بالمشكلة، ثم تتعلم ما تحتاجه أثناء بنائها.

بدل أن تقول:

أنا متخصص في البرمجة.

تقول:

أنا أبني أنظمة تحل مشكلات في الزراعة.

وبدل:

أنا متخصص في التسويق.

تقول:

أنا أستطيع إطلاق منتج، فهم جمهوره، اختبار رسائله، تحليل نتائجه وتطويره.

التخصص لن يختفي في المجالات التي تحتاج إلى معرفة عميقة جدًا.

لكن التخصص بوصفه هوية ثابتة تستمر طوال الحياة سيفقد مكانته.

سيصبح الإنسان أقرب إلى قائد مشروع يتعلم عند الحاجة، ويستدعي الخبرات البشرية والاصطناعية، ويربط المجالات معًا.

لو صممنا الجامعة اليوم، هل كنا سنبنيها بهذه الطريقة؟

لو لم تكن الجامعة موجودة، وطلب منا أحد تصميم مؤسسة لتجهيز الشباب لعالم 2030، هل كنا سنقول:

- نجمعهم في قاعات.
- نقسم المعرفة إلى مواد منفصلة.
- نشرح لهم المحتوى نفسه بالسرعة نفسها.
- نختبر ذاكرتهم في نهاية الفصل.
- نعطيهم علامات.
- وننتظر أربع سنوات قبل أن نطلب منهم إنتاج شيء حقيقي؟

لا أعتقد ذلك.

الجامعة الجديدة يجب أن تبنى حول أربعة أشياء:

1. مشكلات حقيقية

لا يدخل الطالب إلى "تخصص إدارة الأعمال".

يدخل إلى تحدٍ:

- كيف نبني شركة تصدّر من فلسطين؟
- كيف نخفض هدر المياه؟
- كيف نعيد تصميم الرعاية الصحية؟
- كيف نحمي الأرشيف الفلسطيني؟
- كيف نبني أدوات تعليم عربية؟
- كيف ننتج إعلامًا ينافس عالميًا؟

• كيف نعيد تنظيم مدينة أو مؤسسة أو قطاع؟

أثناء العمل، يتعلم ما يحتاجه.

2. معلّم AI شخصي

لكل طالب نظام يعرف:

- مستواه.
- ما نسيه.
- ما يفهمه بصورة خاطئة.
- طريقة تعلمه.
- أهدافه.
- مشروعه.
- نقاط قوته وضعفه.

لا يعطيه الإجابة فقط، بل يختبره، ويعارضه، ويطلب منه الدفاع عن فكرته، ويخلق له تمارين تناسبه.

3. خبراء بشر بدل المحاضرين التقليديين

لا يحتاج الأستاذ إلى تكرار شرح المعلومات الأساسية كل عام.

يتولى الذكاء الاصطناعي الشرح الأولي والتدريب والتكرار.

ويركز الأستاذ على:

- الحكم.
- النقد.
- النقاش.
- الخبرة.
- الأخلاق.
- المشاريع.
- العلاقات.
- والأسئلة التي لا توجد لها إجابات جاهزة.

4. سجل قدرة بدل شهادة عامة

لا يتخرج الطالب بورقة تقول إنه نجح في أربعين مادة.

يتخرج ومعه سجل يوضح:

- ما الذي بناه.
- ما المشكلات التي حلها.
- ما الذي فشل فيه.
- كيف عدّل قراراته.
- كيف استخدم الذكاء الاصطناعي.
- ماذا يستطيع أن يفعل دون مساعدة.
- وكيف يعمل مع البشر.

هذه هي الإشارة التي يحتاجها العالم الجديد.

المدرسة أيضًا تقوم على منطق انتهى

قد تبدو المدرسة أكثر أمانًا من الجامعة لأن الأطفال سيظلون بحاجة إلى التعليم الأساشي.

لكن المدرسة الحالية بُنيت على افتراض أن أفضل طريقة لتعليم ثلاثين طفلًا هي أن يقف شخص واحد أمامهم ويشرح الفكرة نفسها بالطريقة نفسها وفي الوقت نفسه.

هذا الافتراض لم يكن صحيحًا يومًا.

كان حلًا اضطراريًا لأننا لا نستطيع توفير معلّم خاص لكل طفل.

في صف واحد قد تجد:

- طفلًا فهم الدرس قبل أن ينتهي الشرح.
- طفلًا يحتاج إلى مثال بصري.
- طفلًا لم يفهم فكرة أساسية منذ أسبوعين.
- طفلًا يشعر بالملل.
- طفلًا خائفًا من السؤال.
- طفلًا يحفظ دون فهم.
- طفلًا توقف عن المتابعة تمامًا.

ومع ذلك، يتحرك الصف كله بالسرعة نفسها.

عندما يصبح لكل طفل معلّم AI شخصي، يسقط هذا المبرر.

معلّم يستطيع أن:

- يتحدث معه بصوته.
- يعرف مستواه الحقيقي.
- يعيد الشرح بلا ملل.
- يحول الفكرة إلى قصة أو لعبة أو تجربة.
- يغير أسلوبه حسب الطفل.
- يكتشف الفجوة فورًا.
- يختبر الفهم بدل الحفظ.
- ويتذكر رحلة الطالب كاملة.

فلماذا نستمر في شرح الدرس نفسه لثلاثين طفلًا وكأنهم عقل واحد؟

المدرسة لن تختفي، لكنها ستتوقف عن كونها مصنع دروس

أنا لا أتصور مستقبلًا يجلس فيه الأطفال وحدهم أمام الشاشات طوال اليوم.

هذا ليس تعليمًا متقدمًا.

هذه عزلة.

الطفل يحتاج إلى بشر.

يحتاج إلى:

- اللعب.
- الحركة.
- الصداقة.
- الاختلاف.
- التعاون.
- الخسارة والفوز.
- الفن.
- الطبيعة.
- المسؤولية.
- قدوة يراها أمامه.
- وشخص يلاحظ أنه حزين حتى لو لم يقل شيئًا.

لكن هذا يعني أن المدرسة يجب أن تعيد تعريف دورها.

بدل أن يقضي الطفل ست ساعات في تلقي الشرح، يمكن أن يصبح يومه مثلًا:

ثلاث ساعات للتعلم الشخصي

معرفة أساسية مكثفة ومصممة حسب الطفل:

- القراءة.
- الكتابة.
- الرياضيات.
- العلوم.
- اللغات.
- التفكير المنطقي.

بقية اليوم للحياة

- الرياضة.
- المسرح.
- الموسيقى.
- الزراعة.
- المشاريع الجماعية.
- الرحلات.
- المختبر.
- العمل اليدوي.
- خدمة المجتمع.
- حل النزاعات.
- الحوار.
- بناء أشياء حقيقية.

هنا تتحول المدرسة إلى مركز اجتماعي وإنساني وإبداعي.

لا يذهب إليها الطفل لأن المعلومات موجودة هناك.

يذهب إليها لأن البشر موجودون هناك.

المعلم لن يختفي، لكن مهنته الحالية ستختفي

كما أن البرمجة ستتغير جذريًا، فإن مهنة المعلم بصورتها الحالية لن تبقى.

لن تكون القيمة الأساسية للمعلم أن يشرح قاعدة نحوية أو معادلة بالطريقة نفسها كل عام.

النظام يستطيع فعل ذلك، وقد يصبح أفضل في التخصيص والصبر والمتابعة.

القيمة الإنسانية للمعلم ستصبح في:

- رؤية الطفل.
- فهم حالته.
- بناء ثقته.
- قيادة المجموعة.
- إدارة العلاقات.
- ملاحظة الخطر.
- تصميم التجارب.
- تعليم المسؤولية.
- حماية الاستقلال الفكري.
- ومنح الطفل شعورًا بأنه معروف، لا مجرد رقم داخل النظام.

المعلم المستقبلي أقرب إلى:

مربٍ، ومرشد، ومدرب، وقائد مجتمع صغير.

قد نحتاج إلى عدد أقل ممن يلقون الدروس.

لكننا سنحتاج إلى بشر أفضل في بناء الإنسان.

الخطر الحقيقي: أن يصبح الطالب عاجزًا من دون الآلة

الذكاء الاصطناعي قد يحرر التعليم من الحفظ والتكرار.

لكنه قد ينتج أيضًا جيلًا يستطيع إنتاج كل شيء ولا يستطيع التفكير وحده.

طالب يكتب مقالًا لا يستطيع شرحه.

يبني تطبيقًا لا يفهم كيف يعمل.

يحل مسألة لا يعرف من أين جاءت الإجابة.

يصمم مشروعًا لا يستطيع تمييز نجاحه من فشله.

هذا ليس احتمالًا بسيطًا.

إنه أحد أكبر أخطار المرحلة القادمة.

ولذلك لا يكفي أن نضع معلّم AI أمام الطفل ونعتبر أن المشكلة حُلّت.

نحتاج إلى نوعين من التقييم:

ماذا يستطيع الطالب أن يفعل وحده؟

- هل يقرأ ويفهم؟
- هل يستطيع التفكير بصبر؟
- هل يتذكر الأساسيات؟
- هل يشرح منطقه؟
- هل يتعامل مع مسألة جديدة؟

ماذا يستطيع أن يفعل مع الذكاء الاصطناعي؟

- هل يعطيه هدفًا صحيحًا؟
- هل يراجعه؟
- هل يكتشف الخطأ؟
- هل يربط أكثر من أداة؟
- هل ينتج نتيجة ذات قيمة؟
- هل يتحمل مسؤولية القرار؟

نحتاج إلى الإنسان المستقل.

ونحتاج إلى الإنسان المضاعف بالآلة.

أما الإنسان الذي لا يستطيع العمل إلا إذا أخبره النظام بكل خطوة، فسيكون تابعًا مهما كانت مخرجاته جميلة.

فلسطين لا تملك رفاهية الانتظار

في فلسطين، نحن لا نناقش التعليم داخل اقتصاد ضخم يستطيع استيعاب تجارب فاشلة لسنوات.

لدينا:

- سوق عمل صغير ومقيد.
- أعداد كبيرة من الخريجين.
- جامعات تعتمد بشدة على الرسوم.
- تخصصات لا تقود إلى فرص واضحة.
- بطالة مرتفعة بين الشباب والخريجين.
- انقطاع متكرر في التعليم.
- فجوة بين الجامعة وسوق العمل.
- واعتماد واسع على نموذج الوظيفة التقليدية.

والآن يأتي الذكاء الاصطناعي ليضغط تحديدًا على الوظائف التي كان ينتظرها الخريجون:

- الإدارة.

- المحاسبة.
- البرمجة.
- الإعلام.
- التسويق.
- الترجمة.
- التصميم.
- الأعمال المكتبية.

إذا استمرت جامعاتنا في تخريج الأعداد نفسها بالتخصصات نفسها، فنحن لا نحافظ على التعليم.

نحن نزيد عدد الشباب الذين سيدفعون سنوات من أعمارهم للاستعداد لوظائف تتقلص أو تختفي.

وقد تكون النتيجة أخطر من البطالة.

قد يشعر جيل كامل أنه فعل كل ما طلبه منه المجتمع:

درس.
نجح.
دخل الجامعة.
حصل على الشهادة.

ثم اكتشف أن الصفقة تغيرت بعد أن دفع الثمن.

هذا يولد غضبًا وفقدان ثقة بالمؤسسات، لا مجرد أزمة توظيف.

ماذا يمكن أن تفعل جامعة فلسطينية مختلفة؟

تخيل جامعة فلسطينية لا تقيس نجاحها بعدد الشهادات التي تصدرها، بل بعدد المشكلات التي تساعد على حلها.

كل طالب يعمل منذ سنته الأولى على مشروع حقيقي:

- نظام لعيادة.
- منصة لمنتجات زراعية.
- أداة تعليمية.
- مشروع لحفظ التراث.
- نظام لإدارة بلدية.
- منتج رقمي قابل للتصدير.
- حملة إعلامية دولية.
- حل لمشكلة في الطاقة أو المياه.
- خدمة لمؤسسة صغيرة.

لا ينتظر الطالب أربع سنوات حتى "يصبح جاهزًا".

يبدأ الإنتاج من البداية.

يتعلم من المشروع، ويستعين بالذكاء الاصطناعي والخبراء، ويكتشف ما ينقصه أثناء العمل.

في نهاية المسار، يتخرج ومعه:

- مشاريع.
- علاقات.
- سجل قرارات.
- خبرة مع مؤسسات حقيقية.
- قدرة على العمل مع الذكاء الاصطناعي.
- وربما شركة أو منتج يملكه.

هذه الجامعة لا تجهّز الطالب لينتظر وظيفة.

تجهزه ليخلق قيمة حتى عندما لا تكون الوظيفة موجودة.

ماذا لو أعدنا تصميم التوجيهي؟

هل من المنطقي أن يحدد بضعة أسابيع من الامتحانات مستقبل طالب بعد اثنتي عشرة سنة من التعليم؟

هل نقيس الفهم؟

أم الحفظ؟
أم قدرة الأسرة على توفير الدروس الخاصة؟
أم قدرة الطالب على تحمل الضغط؟

في النظام الجديد، يمكن أن يتكون تقييم الطالب من:

- معرفة أساسية مشتركة.
- مشروع طويل.
- عرض شفهي.
- ملف أعمال.
- خدمة مجتمعية.
- قدرة على البحث والتحقق.
- اختبار دون ذكاء اصطناعي.
- واختبار باستخدامه.

لا نحتاج إلى إلغاء المعيار الوطني.

لكننا نحتاج إلى التوقف عن اختزال الإنسان في علامة واحدة.

ماذا لو بنينا معلّمًا فلسطينيًا لكل طفل؟

ليس تطبيقًا عامًا يترجم محتوى أجنبيًا فقط.

بل نظامًا:

- يعرف المناهج الفلسطينية.
- يتحدث العربية بطلاقة.

- يفهم السياق واللهجة.
- يعمل مع الإنترنت الضعيف.
- يسمح بتنزيل الدروس.
- يحفظ تقدم الطالب.
- يساعد الطفل المنقطع عن المدرسة.
- يدعم المعلم بدل أن يراقبه.
- ويحمي بيانات الأطفال.

يمكن لطالب في قرية، أو مخيم، أو منطقة معزولة، أن يحصل على معلّم شخصي لا تقل جودته عن أفضل ما يحصل عليه طالب في مدرسة باهظة الثمن.

هذه ليست مجرد فرصة تعليمية.

إنها فرصة لتقليل جزء من عدم المساواة الذي لازم التعليم دائمًا.

لكن السؤال الأخطر هو:

من سيملك هذا المعلّم؟

إذا كانت بيانات أطفالنا، ومحتواهم، وطريقة تقييمهم، وكل ما يعرفه النظام عن نقاط ضعفهم موجودًا بالكامل لدى شركات خارجية، فنحن لا نمتلك نظامنا التعليمي.

نحن نستأجره.

لهذا يجب أن تكون إعادة تصميم التعليم أيضًا مشروع سيادة معرفية فلسطينية وعربية.

سيناريو 2028

لنتخيل أننا وصلنا إلى عام 2028، أي بعد أقل من عامين.

- البرمجة اليدوية أصبحت نشاطًا متخصصًا ونادرًا.
- الشركات الصغيرة تشغل وكلاء بدل أقسام كاملة.
- بناء موقع أو تطبيق أصبح أقرب إلى إدارة حوار منه إلى مشروع برمجي.
- المعلم الاصطناعي يتحدث مع الطفل طبيعيًا بالصوت والصورة.
- يستطيع تحليل مستواه وبناء منهاج خاص له.
- بدأت الشركات تختبر الناس من خلال ما يستطيعون إنتاجه، لا من خلال شهاداتهم.
- انخفض التوظيف في وظائف البداية.
- بدأ الطلاب يترددون في دخول تخصصات مكلفة وغير واضحة المستقبل.

في هذا العالم، ما قيمة جامعة ما زالت تقول للطالب:

احضر المحاضرات، احفظ المواد، أنهِ الساعات، ثم سنعطيك ورقة بعد أربع سنوات؟

وما قيمة مدرسة ما زالت تجمع ثلاثين طفلًا لتشرح لهم الصفحة نفسها بالسرعة نفسها؟

سيناريو 2030

الطفل الذي يدخل الصف الأول اليوم سيبقى في التعليم المدرشي حتى أواخر ثلاثينيات هذا القرن.

فكر في حجم العبث:

نحن لا نعرف شكل العمل بعد عامين.

ومع ذلك نتصرف كأننا نعرف ما يجب أن يتعلمه الطفل خلال اثنتي عشرة سنة.

قد يصل إلى سن الجامعة في عالم:

- لا تكون فيه الوظيفة هي الشكل الأساشي للعمل.
- لا يكون فيه التخصص هو الهوية الاقتصادية.
- لا تكون فيه الكتابة والتصميم والبرمجة مهارات إنتاج نادرة.
- يستطيع فيه فرد واحد بناء مؤسسة كاملة.
- تصبح فيه القيمة في الملكية، والحكم، والعلاقات، والهدف، لا في تنفيذ المهام.

ومع ذلك، ما زلنا نملأ يومه بالحفظ والاستعداد لامتحان.

هذه ليست محافظة على التعليم.

إنها تدريب لجيل على عالم لن يكون موجودًا.

الخوف ليس المشكلة

كلما تحدث أحد بوضوح عن هذه التحولات، يظهر من يقول:

لا ينبغي أن ننشر الخوف.

لكن ماذا لو كان الخوف منطقيًا؟

ماذا لو كانت اللغة المطمئنة هي الخطر؟

إذا كان المبنى يحترق، فليس من المسؤولية أن نقول للناس إن هناك احتمالًا بسيطًا لارتفاع الحرارة.

المسؤولية أن نقول إن المبنى يحترق.

لا أعتقد أن الجامعات ستتغير بهدوء خلال عشرين عامًا.

ولا أعتقد أن البرمجة ستظل مهنة جماهيرية ثم تتطور قليلًا.

ولا أعتقد أن المدرسة ستستطيع الحفاظ على الصف التقليدي بعدما يصبح لكل طفل معلّم شخصي يتفوق عليه في الشرح والتخصيص.

أعتقد أننا أمام انقطاع حقيقي.

وقد يبدأ الانهيار المالي لبعض المؤسسات قبل أن تفهم أصلًا ما الذي يحدث.

ما الذي يجب أن نعلّمه إذن؟

إذا لم تعد المعرفة النادرة، والوظيفة المستقرة، والتخصص الثابت هي أساس العالم، فإن التعليم يجب أن يبني الإنسان حول ما يبقى مهمًا:

- القدرة على التفكير دون مساعدة.
- القدرة على استخدام ذكاء يفوقه في مجالات كثيرة.
- الحكم.
- القيم.
- المسؤولية.
- فهم البشر.
- بناء العلاقات.
- اختيار المشكلات.
- صناعة المعنى.
- الجرأة على البدء.
- القدرة على التعلم السريع.
- امتلاك شيء بدل تنفيذ أوامر الآخرين فقط.
- ومعرفة متى يقول للنظام: أنت مخطئ.

المستقبل لن يكافئ بالضرورة الشخص الذي يعرف معلومات أكثر.

الآلة ستعرف أكثر.

ولن يكافئ من يكتب الكود أسرع.

الآلة ستكتب أسرع.

ولن يكافئ من ينتج عددًا أكبر من التصاميم والتقارير.

الآلة ستنتج أكثر.

القيمة ستنتقل إلى الإنسان الذي يعرف:

ماذا يريد أن يبني؟
ولماذا؟
ولمن؟
وما الذي لا ينبغي أن يفعله حتى لو كان ممكنًا؟

نحن لا نملك عشر سنوات

أنا لا أدعو إلى إغلاق المدارس والجامعات غدًا.

لكنني أرفض فكرة أن لدينا وقتًا طويلًا للجان والدراسات والخطط البطيئة.

قد يدخل طالب الجامعة اليوم مؤسسة تفقد معظم قيمتها الاقتصادية قبل أن ينهي سنته الثانية.

وقد يقضي طفل اثنتي عشرة سنة يستعد لوظائف لن يراها إلا في كتب التاريخ.

الخطر ليس أن نتحرك بسرعة أكبر من اللازم.

الخطر أن نحاول حماية المؤسسة القديمة حتى يصبح الجيل الموجود داخلها هو الثمن.

نحتاج الآن إلى تجارب حقيقية:

- مدرسة يعاد تصميم يومها بالكامل.
- جامعة تستبدل المواد المنفصلة بمشكلات ومشاريع.
- معلّم AI شخصي لكل طالب.
- تقييم قائم على القدرة.
- مسارات قصيرة بدل الشهادات الطويلة.
- مؤسسات تسمح للطالب بالبناء منذ اليوم الأول.
- وبنية فلسطينية نملك بياناتها ومحتواها.

لا نحتاج إلى إضافة حصة عن الذكاء الاصطناعي إلى الجدول.

نحتاج إلى إعادة بناء الجدول نفسه.

ولا نحتاج إلى تعليم الطالب كيف يستخدم أداة جديدة.

نحتاج إلى إعادة التفكير في سبب وجود المدرسة والجامعة أصلًا.

السؤال لم يعد:

> كيف نُدخل الذكاء الاصطناعي إلى التعليم؟

السؤال الحقيقي هو:

> **إذا كنا نصمم المدرسة والجامعة اليوم من الصفر، في عالم يستطيع فيه الذكاء الاصطناعي أن يشرح ويكتب ويبرمج ويصمم ويحلل وينفذ، فهل كنا سنبنيهما بالشكل الذي نعرفه؟**

أعتقد أن الإجابة واضحة.

وأعتقد أن الوقت المتاح لنا أقصر بكثير مما نريد أن نعترف به.